تطبيقات في مقياس النص الأدبي القديم

قسم النشر

- اسم الأستاذة: د/ رشيدة كلاع
- المقياس: نص أدبي قديم (قسم النشر)
- السنة: أولى ليسانس
- التخصص: /
- النوع: تطبيق
- الفوجين: 7 و15.

الدرس رقم: 05 (النص التطبيقي)

حكيات ألف ليلة وليلة

حكاية التاجر مع العفريت

النص: «الليلة الأولى: قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أنه كان تاجر من التجار، كثير المال والمعاملات في البلاد قد ركب يوماً وخرج يطالب في بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده في خرجه وأكل كسرة كانت معه وتمرة، فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة وإذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف، فدنا من ذلك التاجر وقال له: قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي، فقال له التاجر: كيف قتلت ولدك؟ قال له: لما أكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي فقضي عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريت: أعلم أيها العفريت أني على دين ولي مال كثير وأولاد وزوجة وعندي رهون فدعني أذهب إلى بيتي وأعطي كل ذي حق حقه ثم أعود إليك، ولك علي عهد وميثاق أني أعود إليك فتفعل بي ما تريد والله على ما أقول وكيل. فاستوثق منه الجني وأطلقه فرجع إلى بلده وقضى جميع تعلقاته وأوصل الحقوق إلى أهلها وأعلم زوجته وأولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع أهله ونساءه وأولاده وأوصى وقعد عندهم إلى تمام السنة ثم توجه وأخذ كفنه تحت إبطه وودع أهله وجيرانه وجميع أهله وخرج رغماً عن أنفه وأقيم عليه العياط والصراخ فمشى إلى أن وصل إلى ذلك البستان وكان ذلك اليوم أول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما يحصل له وإذا بشيخ كبير قد أقبل عليه ومعه غزالة مسلسلة فسلم على هذا التاجر وحياه وقال له: ما سبب جلوسك في هذا المكان وأنت منفرد وهو مأوى الجن؟ فأخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت وبسبب قعوده في هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال: والله يا أخي ما دينك إلا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت بالإبر على آفاق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم أنه جلس بجانبه وقال والله يا أخي لا أبرح من عندك حتى أنظر ما يجري لك مع ذلك العفريت ثم أنه جلس عنده يتحدث معه فغشي على ذلك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه فإذا بشيخ ثان قد أقبل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود. فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما في هذا المكان وهو مأوى الجان فأخبراه بالقصة من أولها إلى آخرها فلم يستقر به الجلوس حتى أقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم في هذا المكان فأخبروه بالقصة من أولها إلى آخرها وبينما كذلك إذا بغبرة هاجت وزوبعة عظيمة قد أقبلت من وسط تلك البرية فانكشفت الغبرة وإذا بذلك الجني وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فأتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم

وقال له: قم أقتلك مثل ما قتلت ولدي وحشاشة كبدي فانتحب ذلك التاجر وبكى وأعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب فانتبه منهم الشيخ الأول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له: يا أيها الجني وتاج ملوك الجان إذا حكيت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة، أتهب لي ثلث دم هذا التاجر؟ قال: نعم. يا أيها الشيخ، إذا أنت حكيت لي الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الأول: اعلم يا أيها العفريت أن هذه الغزالة هي بنت عمي ومن لحمي ودمي وكنت تزوجت بها وهي صغيرة السن وأقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم أرزق منها بولد فأخذت لي سرية فرزقت منها بولد ذكر كأنه البدر إذا بدا بعينين مليحتين وحاجبين مزججين وأعضاء كاملة فكبر شيئاً فشيئاً إلى أن صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لي سفرة إلى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمي هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلاً وسحرت الجارية أمه بقرة وسلمتها إلى الراعي، ثم جئت أنا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدي وعن أمه فقالت لي جاريتك ماتت وابنك هرب ولم أعلم أين راح فجلست مدة سنة وأنا حزين القلب باكي العين إلى أن جاء عيد الضحية فأرسلت إلى الراعي أن يخصني ببقرة سمينة وهي سريتي التي سحرتها تلك الغزالة فشمرت ثيابي وأخذت السكين بيدي وتهيأت لذبحها فصاحت وبكت بكاء شديداً فقمت عنها وأمرت ذلك الراعي فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحماً ولا لحماً غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لا ينفعني الندم وأعطيتها للراعي وقلت له: ائتني بعجل سمين فأتاني بولدي المسحور عجلاً فلما رآني ذلك العجل قطع حبله وجاءني وتمرغ علي وولول وبكى فأخذتني الرأفة عليه وقلت للراعي ائتني ببقرة ودع هذا. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح. فقالت لها أختها: ما أطيب حديثك وألطفه وألذه وأعذبه فقالت: وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه: والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم أنهم باتوا تلك الليلة إلى الصباح متعانقين فخرج الملك إلى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت إبطه ثم حكم الملك وولي وعزل إلى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشيء من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره.

وفي الليلة الثانية :قالت دنيازاد لأختها شهرزاد: يا أختي أتممي لنا حديثك الذي هو حديث التاجر والجني. قالت حباً وكرامة إن أذن لي الملك، في ذلك، فقال لها الملك: احكي، فقالت: بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد أنه لما رأى بكاء العجل حن قلبه إليه وقال للراعي: ابق هذا العجل بين البهائم. كل ذلك والجني يتعجب من حكاية ذلك الكلام العجيب ثم قال صاحب الغزالة: يا سيد ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه الغزالة تنظر وترى وتقول اذبح هذا العجل فإنه سمين، فلم يهن علي أن أذبحه وأمرت الراعي أن يأخذه وتوجه به،

ففي ثاني يوم وأنا جالس وإذا بالراعي أقبل علي وقال: يا سيدي إني أقول شيئاً تسر به ولي البشارة. فقلت: نعم فقال: أيها التاجر إن لي بنتاً كانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا، فلما كنا بالأمس وأعطيتني العجل دخلت به عليها فنظرت إليه ابنتي وغطت وجهها وبكت ثم إنها ضحكت وقالت: يا أبي قد خس قدري عندك حتى تدخل علي الرجال الأجانب. فقلت لها: وأين الرجال الأجانب ولماذا بكيت وضحكت؟ فقالت لي أن هذا العجل الذي معك ابن سيدي التاجر ولكنه مسحور وسحرته زوجة أبيه هو وأمه فهذا سبب ضحكي وأما سبب بكائي فمن أجل أمه حيث ذبحها أبوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئت إليك لأعلمك فلما سمعت أيها الجني كلام هذا الراعي خرجت معه وأنا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور والذي حصل لي إلى أن أتيت إلى داره فرحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي ثم إن العجل جاء إلي وتمرغ علي فقلت لابنة الراعي: أحق ما تقولينه عن ذلك العجل؟ فقالت: نعم يا سيدي إيه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها: أيها الصبية إن أنت خلصتيه فلك عندي ما تحت يد أبيك من المواشي والأموال فتبسمت وقالت: يا سيدي ليس لي رغبة في المال إلا بشرطين: الأول: أن تزوجني به والثاني: أن أسر من سحرته وأحبسها وإلا فلست آمن مكرها فلما سمعت أيها الجني كلام بنت الراعي قلت: ولك فوق جميع ما تحت يد أبيك من الأموال زيادة وأما بنت عمي فدمها لك مباح.

فلما سمعت كلامي أخذت طاسة وملأتها ماء ثم أنها عزمت عليها ورشت بها العجل وقالت: إن كان الله خلقك عجلاً فدم على هذه الصفة ولا تتغير وإن كنت مسحوراً فعد إلى خلقتك الأولى بإذن الله تعالى وإذا به انتفض ثم صار إنساناً فوقعت عليه وقلت له: بالله عليك احك لي جميع ما صنعت بك وبأمك بنت عمي فحكى لي جميع ما جرى لهما فقلت: يا ولدي قد قيض الله لك من خلصك وخلص حقك ثم إني أيها الجني زوجته ابنة الراعي ثم أنها سحرت ابنة عمي هذه الغزالة وجئت إلى هنا فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فأخبروني بما جرى لهذا التاجر فجلست لأنظر ما يكون وهذا حديثي فقال الجني: هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ صاحب الكلبتين السلاقيتين وقال له: اعلم يا سيد ملوك الجان أن هاتين الكلبتين أخوتي وأنا ثالثهم ومات والدي وخلف لنا ثلاثة آلاف دينار ففتحت دكاناً أبيع فيه وأشتري وسافر أخي بتجارته وغاب عنا مدة سنة مع القوافل ثم أتى وما معه شيء فقلت له: يا أخي أما أشرت عليك بعدم السفر؟ فبكى وقال: يا أخي قدر الله عز وجل علي بهذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة ولست أملك شيئاً فأخذته وطلعت به إلى الدكان ثم ذهبت به إلى الحمام وألبسته حلة من الملابس الفاخرة وأكلت أنا وإياه وقلت له: يا أخي إني أحسب ربح دكاني من السنة إلى السنة ثم أقسمه دون رأس المال بيني وبينك ثم إني عملت حساب الدكان من بربح مالي فوجدته ألفي

دينار فحمدت الله عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بيني وبينه شطرين وأقمنا مع بعضنا أياماً ثم إن أخوتي طلبوا السفر أيضاً وأرادوا أن أسافر معهم فلم أرض وقلت لهم: أي شيء كسبتم من سفركم حتى أكسب أنا؟ فألحوا علي ولم أطعهم بل أقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري سنة كاملة وهم يعرضون علي السفر وأنا لم أرض حتى مضت ست سنوات كوامل.

ثم وافقتهم على السفر وقلت لهم: يا أخوتي إننا نحسب ما عندنا من المال فحسبناه فإذا هو ستة آلاف دينار فقلت: ندفن نصفها تحت الأرض لينفعا إذا أصابنا أمر ويأخذ كل واحد منا ألف دينار ونتسبب فيها قالوا: نعم الرأي فأخذت المال وقسمته نصفين ودفنت ثلاثة آلاف دينار. وأما الثلاثة آلاف الأخرى فأعطيت كل واحد منهم ألف دينار وجهزنا بضائع واكترينا مركباً ونقلنا فيها حوائجنا وسافرنا مدة شهر كامل إلى أن دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير ثم أردنا السفر فوجدنا على شاطئ البحر جارية عليها خلق مقطع فقبلت يدي وقالت: يا سيدي هل عندك إحسان ومعروف أجازيك عليهما؟ قلت: نعم إن عندي الإحسان والمعروف ولو لم تجازيني فقالت: يا سيدي تزوجني وخذني إلى بلادك فإني قد وهبتك نفسي فافعل معي معروفاً لأني ممن يصنع معه المعروف والإحسان، ويجازي عليهما ولا يغرنك حالي. فلما سمعت كلامها حن قلبي إليها لأمر يريده الله عز وجل، فأخذتها وكسوتها وفرشت لها في المركب فرشاً حسناً وأقبلت عليها وأكرمتها ثم سافرنا وقد أحبها قلبي محبة عظيمة وصرت لا أفارقها ليلاً ولا نهاراً أو اشتغلت بها عن إخوتي، فغاروا مني وحسدوني على مالي وكثرت بضاعتي وطمحت عيونهم في المال جميعه، وتحدثوا بقتلي وأخذ مالي وقالوا: نقتل أخانا ويصير المال جميعه لنا، وزين لهم الشيطان أعمالهم فجاؤوني وأنا نايم بجانب زوجتي ورموني في البحر فلما استيقظت زوجتي انتفضت فصارت عفريتة وحملتني وأطلعتني على جزيرة وغابت عني قليلاً وعادت إلي عند الصباح، وقالت لي: أنا زوجتك التي حملتك ونجيتك من القتل بإذن الله تعالى، واعلم أني جنية رأيتك فحبك قلبي وأنا مؤمنة بالله ورسوله فجئتك بالحال الذي رأيتني فيه فتزوجت بي وها أنا قد نجيتك من الغرق، وقد غضبت على إخوتك ولا بد أن أقتلهم. فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها أما هلاك إخوتي فلا ينبغي ثم حكيت لها ما جرى لي معهم من أول الزمان إلى آخره. فلما سمعت كلامي قالت: أنا في هذه الليلة أطير إليهم وأغرق مراكبهم وأهلكهم، فقلت لها: بالله لا تفعلي فإن صاحب المثل يقول: يا محسناً لمن أساء كفي المسيء فعله وهم إخوتي على كل حال، قالت لا بد من قتلهم، فاستعطفتها ثم أنها حملتني وطارت، فوضعتني على سطح داري ففتحت الأبواب وأخرجت الذي خبأته تحت الأرض وفتحت دكاني بعد ما سلمت على الناس واشتريت بضائع، فلما كان الليل، دخلت داري فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها، فلما رأياني قاما إلي وبكيا وتعلقا بي، فلم أشعر إلا وزوجتي

قالت هؤلاء إخوتك فقلت من فعل بهم هذا الفعل قالت أنا أرسلت إلى أختي ففعلت بهم ذلك وما يتخلصون إلا بعد عشر سنوات، فجئت وأنا سائر إليها تخلصهم بعد إقامتهم عشر سنوات، في هذا الحال، فرأيت هذا الفتى فأخبرني بما جرى له فأردت أن لا أبرح حتى أنظر ما يجري بينك وبينه وهذه قصتي.

قال الجني: إنها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه في جنايته فعند ذلك تقدم الشيخ الثالث صاحب البغلة، وقال للجني أنا أحكي لك حكاية أعجب من حكاية الاثنين، وتهب لي باقي دمه وجنايته، فقال الجني نعم فقال الشيخ أيها السلطان ورئيس الجان إن هذه البغلة كانت زوجتي سافرت وغبت عنها سنة كاملة، ثم قضيت سفري وجئت إليها في الليل فرأيت عبد أسود راقد معها في الفراش وهما في كلام وغنج وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتني عجلت وقامت إلي بكوز فيه ماء فتكلمت عليه ورشتني، وقالت اخرج من هذه الصورة إلى صورة كلب فصرت في الحال كلباً فطردتني من البيت فخرجت من الباب ولم أزل سائراً، حتى وصلت دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام.

فلما رآني صاحب الدكان أخذني ودخل بي بيته فلما رأتني بنت الجزار غطت وجهها مني فقالت أتجيء لنا برجل وتدخل علينا به فقال أبوها أين الرجل قالت إن هذا الكلب سحرته امرأة وأنا أقدر على تخليصه فلما سمع أبوها كلامها قال :بالله عليك يا بنتي خلصيه فأخذت كوزاً فيه ماء وتكلمت عليه ورشت علي منه قليلاً وقالت: اخرج من هذه الصورة إلى صورتك الأولى، فصرت إلى صورتي الأولى فقبلت يدها وقلت لها: أريد أن تسحري زوجتي كما سحرتني فأعطتني قليلاً من الماء، وقالت إذا رأيتها نائمة فرش هذا الماء عليها فإنها تصير كما أنت طالب فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء، وقلت اخرجي من هذه الصورة إلى صورة بغلة فصارت في الحال بغلة وهي هذه التي تنظرها بعينك أيها السلطان ورئيس ملوك الجان، ثم التفت إليها وقال: أصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالإشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجني من الطرب ووهب له باقي دمه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فقالت لها أختها: يا أختي ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت :أين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك فقال الملك :والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لأنه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين إلى الصباح، فخرج الملك إلى محل حكمه ودخل عليه الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وأمر إلى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار إلى قصره.

وفي الليلة الثالثة : قالت لها أختها دنيا زاد: يا أختي أتمي لنا حديثك فقالت حباً وكرامة بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر أقبل على الشيوخ وشكرهم هنوه بالسلامة ورجع كل واحد إلى بلده وما هذه بأعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك: وما حكاية الصياد؟ »

تحليل النص:

- **الهيكل التنظيمي للحكاية:**

حكاية **"التاجر والعفريت"** من حكايات ألف ليلة وليلة، التي كانت تقصها شهرزاد على مسامع زوجها الملك شهريار. وهي حكاية بسيطة المضمون، تهدف من ورائها شهرزاد إلى تغيير فكرة شهريار وثنيه على الانتقام. تتكوّن حكاية "التاجر والعفريت" من:

الحكلية الأم/ الحكاية الإطار: تتناول حكاية التاجر والتقائه بالعفريت. تتفرع عنها ثلاث حكايات تضمنية هي:

- **الحكاية التضمنية الأولى**: تتناول حكاية الشيخ الأول مع الغزالة.
- **الحكاية التضمنية الثانية**: تتناول حكاية الشيخ الثاني مع الكلبتين السلوقيتين.
- **الحكاية التضمنية الثالثة**: تتناول حكاية الشيخ الأول مع البغلة الزرزورية.

تستهل شهرزاد حكاياتها، في الليلة الأولى بحكاية **"التاجر والعفريت"** ، تتضمن لونا من المحاكمات القصيرة، لأبطال الحكاية، أين تتشابك الأسباب والنتائج. تهدف من خلالها شهرزاد إلى دفع زوجها شهريار، ومن ورائه المتلقي إلى التأمل في معنى العقاب.

تتناول حكاية التاجر والعفريت، قصة تاجر **"كثير المال والأعمال"** أثناء قيامه برحلة، حيث توقف في يوم شديد الحر، لأخذ قسط من الراحة. جلس تحت شجرة، لأكل تمرة كانت معه. هذه الجزئية الصغيرة، تغدو محورية في الحكاية، فعند انتهائه من أكل التمرة قام برمي النواة. فإذا بعفريت طويل القامة يهجم وبيده سيف، مهددا التاجر بالقتل. صارخا: **"قم حتى أقتلك كما قتلت ولدي"**، يتعجب التاجر من غضب العفريت، لم يعرف أن رميه لنواة التمرة قد تسبب في قتل ابن العفريت، بعد أن وقعت على صدره.

تبدو لنا هذه المحاكمة ذات وجهين: فالتاجر من وجهة نظرنا غير مذنب، فقد رمى النواة عن غير قصد، غير أنّ الضرر قد وقع، إذ تسببت في فقدان ابن العفريت لحياته، وهو أمر من وجهة نظر العفريت يستحق العقاب. هذه المحاكمة قامت عليها حبكة الحكاية.

معرفة التاجر لما نتج عن فعلته، جعله يقبل بالعقاب على مضض وبحزن شديد. لكنه طلب من العفريت أن يمهله ليودّع أهله، ويوفي عقوده، ويرد الحقوق إلى أهلها. فقبل العفريت طلبه.

مع حلول العام الجديد يرجع التاجر إلى المكان نفسه ليوفي بعهده للعفريت. وبينما هو ينتظر مصيره المحتوم في"**غم وهم**" مرّ به ثلاثة شيوخ: كان مع الشيخ الأول غزالة. أما الشيخ الثاني فقد كانت معه كلبتان سلوقيتان. في حين كانت مع الشيخ الثالث بغلة زرزورية. وبعد سماعهم لقصته قرروا البقاء إلى جانبه، ومساندته. أثناء ذلك ثارت زوبعة عظيمة ظهر على إثرها العفريت، وبيده سيف مسلول، مناديا التاجر:"**قم أقتلك كما قتلت ولدي وحشاشة كبدي**" فبكى التاجر، وبكى لبكائه الشيوخ الثلاثة. الذين طلبوا من العفريت تباعا "**فداء ثلث دمه**".

شاركت الحكايات الثلاثة في محاكمة العفريت للتاجر. ومنها في محاكمة الشيوخ للنساء اللواتي تحوّلن /مسخن إلى حيوانات. تم في هذه القصص إعادة صياغة معنى العقاب، بتقديم صور عديدة لمعنى العدل. ليطرح كل موقف عديد الأسئلة.

- تم في الحكاية الأولى معاقبة الزوجة، التي تسببت في معاناة زوجها بأن مسخت إلى غزالة.
- أما في الحكاية الثانية فقد عوقب شقيقا الراوي بأن حوّلا إلى كلبتين سلوقيتين لفترة محددة. وقد كان في طريقه لإطلاق سراحهما. من ثم لم يكن العقاب تعسفيا.
- فيما تطرح الحكاية الثالثة فكرة العقاب المتبادل. يتكرر خلالها مشهد الخيانة الذي عرفه الملك شهريار وذاق مرارته.

ارتبطت القصة الأم/الإطار، مع القصص التضمنية في أنّها تقود جميعها إلى فكرة **العقاب**، ومدى استحقاقه. لتعبر في مجملها عن عمق الألم الذي استوطن نفس الملك شهريار، فدفعه إلى تنفيذ عقاب جماعي/ تعسفي كانت ضحيته نساء المملكة دون تمييز.

ختمت شهرزاد ليلتها الأولى، ومن ثم حكايتها الأولى **"قصة التاجر والعفريت"** بقصة أعجب هي قصة **"الصياد"** ليتتابع استقصاء معنى العقاب في قصص أخرى ضمن الليالي.

تضمنت حكايات ألف ليلة وليلة أنساقا مختلفة، تشير إلى هويتها الثقافية العديدة. فمن **الهند** توسل الكاتب رواية القصص للنجاة من موت محتوم. ومن **الفرس** أسماء الشخصيات، وعالم السحر. أما من **اليهودية** فتأخذ القصص طابعها الوعظي عن الحياة الآخرة. لتأخذ من **العراق** ملامح الأدب، وقصص الخلافة العباسية فيتكرر ظهور الخليفة هارون الرشيد... يظهر التأثير الإسلامي، من خلال مقاومتها العميقة لفكرة العقاب الجماعي. بأن يتحمّل الشخص الذي اقترف ذنبا، أو خطأ وحده العقاب. استنباطا لقوله تعالى: **(لا تزر وازرة وزر أخرى)**.

الدرس رقم: 06 (النص التطبيقي)

كليلة ودمنة لابن المقفع

طموح أهل الفضل

النص: «قال دمنة لأخيه كليلة: يا أخي ما شأن الأسد مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط؟ قال دمنة: ما شأنك أنتَ والمسألة عن هذا؟ نحن على باب ملكنا آخذين بما أحبّ وتاركين لما يكره. ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك، والنظر في أمورهم. فأمسك عن هذا، واعلم أنّه من تكلّف من القول والفعل ما ليس من شأنه أصابه ما أصاب القرد من النجار.

قال دمنة: وكيف كان ذلك؟ قال كليلة: زعموا أنّ قردا رأى نجارا يشُق خشبة بين وتدين وهو راكب عليها. فأعجبه ذلك. ثم إنّ النجار ذهب لبعض شأنه، فقام القرد وتكلّف ما ليس من شغله. فركب الخشبة وجعل ظهره قبل الوتد، ووجهه قبل الخشبة. فتدلى ذَنَبُه في الشّقِ ونزع الوتد، فلزم الشق عليه، فخرّ مغشيا عليه. ثم إنّ النّجار وافاه فرآه على تلك الحالة، فأقبل عليه يضربه. فكان على تلك الحالة، فأقبل عليه يضربه. فكان ما لقي من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة.

قال دمنة: فقد سمعتُ ما ذكرتَ. وليس كل من يدنو من الملوك يقدر على صحبتهم، ويفوز بقربهم. ولكن اعلم أنّ كل من يدنو من الملوك ليس يدنو منهم لبطنه، وإنّما يدنو منهم ليسرّ الصديق، ويُكبت العدوّ. وإنّ من الناس من لا مروة له. وهم الذين يفرحون بالقليل، ويرضون بالدُّون كالكلب الذي يصيب عظما يابسا فيفرح به. وأمّا أهل الفضل والمروءة فلا يقنعهم القليل، ولا يرضون به. دون أن تسموّ به نفوسهم إلى ما هم أهل لهم، وهو أيضا لهم أهل. كالأسد الذي يفترس الأرنب فإذا رأى البعير تركها وطلب البعير. ألا ترى أن الكلب يُصبص بذنبه حتى تُرمى له الكسرة من الخبز فتُقنعه وتُرضيه منك. وأنّ الفيل المعترف بفضله وقوّته إذا قُدّم له علفه لا يَعتَلفه حتى يُمسح وجهه ويَتملّق له.

فمن عاش ذا مالٍ وكان ذا فضل وإفْضال على أهله وإخوانه فهو وإنْ قلَّ عُمره طويل العمر. ومن كان في عيشه ضيق وقلّة وإمساك على نفسه وذويه فالمقبور أحيّ منه. ومن عمل لبطنه وقنع، وترك ما سوى ذلك عُدّ من البهائم.

قال كليلة: قد عرفتُ مقالتك، فراجع عقلك. واعلم أنّ لكل إنسان منزلةً ومقدارا.»

التحليل:

هذا النص من كتاب "كليلة ودمنة" الذي عرّبه ابن المقفع معطيا له من روحه. تناول على لسان الحيوان والطيور قضايا سياسية وفكرية واجتماعية متنوعة . فاشتهر بطرافته في ظاهره، وبباطنه الجاد المبني على النقد والتوجيه.

موضوع النص يتضمن حوارا بين "**كليلة ودمنة**" حول كيفية التعامل مع السلطان (بالمحاباة أم بالمناصحة؟)

ينقسم النص إلى ثلاثة أقسام هي:

- **القسم الأول:** (يمتد من بداية النص إلى ولا ينشط) فيه تم طرح الإشكالية وهي: **التعرض لشأن الأسد.**
- **القسم الثاني:** (يمتد من قال له كليلة إلى عدّ من البهائم) تم فيه عرض رأيين متقابلين بشكل تناظري.
  - تتمثل الأطروحة الأولى في: ما قاله **كليلة** في سؤاله عن الأسد، والذي جلب له السخط والضرر. (وتمتد من **قال له كليلة** إلى **الخشبة**).
  - **الأطروحة الثانية:** تتمثل فيما قاله **دمنة**، بأنّ طلب المنزلة الرفيعة من شيم أهل الفضل.(تمتد من **قال دمنة** إلى **من شيم أهل الفضل**).
- **القسم الثالث:** يضم النتيجة وهي: **تشبث كليلة بموقفه.** (بقية النص)

تحليل النص:

القسم الأول: تم فيه التعرض لشأن الأسد.

وظّف صاحب النص النداء في قوله: "**يا أخي**". ففي استدعائه لرابطة الأخوة الدموية، ضمان للأمان والثقة والطمأنينة. خاصة وأنّ محور الحديث مهم جدا، ويتطلب مستوى رفيعا من الثقة والسرية. كما كشف توظيفه للاستفهام في قوله: "**ما شأن الأسد؟**" عن الحيرة والاستغراب من حال الأسد، ومن ثم إشراك المحاور/كليلة في تلك الحيرة. والرغبة في المعرفة والبحث.

كما ورد **النفي** في قوله: "**لا يبرح ولا ينشط**" أين اقترنت أفعال الأسد بأدوات النفي. فأفعاله تتسم بالسلبية والسكون وربما العجز. ما أثار الاستغراب والحيرة من سيد الغابة، صاحب السطوة والقوة، ورمز السلطة والغلبة. فحال الأسد إجمالا، ومواقفه العديدة والمتضاربة لا تحظى بالقبول أو الإقناع.

رمزية الأسد: تبدو الحكاية للوهلة الأولى أنّها حكاية مدارها الحيوانات. ليتضح بعد ذلك أنّها تخوض في شأن البشر.

فرغم أنّ الكلام بدأ بذكر الأسد، لكن سرعان ما نجده يتحوّل إلى حديث عن الملوك (**باب ملكنا، يدنو من الملوك**). فقد استعمل الأسد قناعا ، لكن سرعان ما سقط هذا القناع، وانكشف. ليظهر أنّه رمز لصاحب السلطة على اختلاف أشكاله.

القسم الثاني: صراع المواقف.

أدى الحديث عن أمر الأسد إلى اختلاف الطرفين. تجلى ذلك في:

-أطروحة **دمنة:** تمثلت في سؤاله عن الأسد، ما جلب له السخط والضرر. استعمل الكاتب في عرضه لهذا الرأي جملة من الأساليب نذكر منها: **الاستفهام** في قوله: **"وما شأنك أنت وهذه المسألة؟"** وهو استفهام إنكاري، فيه لوم وتقريع لدمنة بسبب تناوله هذه المسألة. نستنتج رفضا من كليلة لطرحها. من دعائم هذا الرفض قوله: **"نحن على باب ملكنا"**، تكشف هذه الجملة الاسمية التقريرية المثبتة عن حالة الاستقرار التي تعيشها الشخصيتان (كليلة ودمنة) فلا موجب لتغييرها.

أما استعماله لمقابلات وطباقات، تجمع بين الشيء وضده إيجابا وسلبا، في قوله: **"آخذين بما أحبّ وتاركين لما يكره"** ما يؤكد حالة التوازن الدقيق التي نجح كليلة ودمنة في تحقيقها في علاقتهما بالأسد. وقوله: **"لسنا من أهل المرتبة"** تضمنت هذه الجملة المنفية (لسنا) إقرارا بأن الطرفان (كليلة ودمنة) غير مؤهلين للخوض في هذا الموضوع.

عمد كليلة إلى توظيف جملة من الحجج لإقناع دمنة وثنيه عما هو مقدم عليه. نذكر منها: **"فأمسك عن هذا"** ففيه طلب للكف عن هذا الحديث، ما يفيد **النصح والتوجيه** بين الإخوة والأحبة. وقوله: **"اعلم"** فعل أمر استعمله كليلة في خطابه، يظهره في صورة المعلم الحكيم، في مواجهة دمنة (الغر/قليل التجربة) الذي يحتاج إلى توجيه.

وقوله: **"من تكلّف أصابه ما أصاب القرد"** هي جملة شرطية، وظفها لضرب المثل؛ فتدخل القرد في أمر النجار الذي لا يعنيه، انتهى به إلى التأذي والضرر (**الغثيان والضرب**). فما وقع للقرد قد يقع لدمنة مستقبلا إذا لم ينتبه.

– أطروحة **دمنة**: طلب المنزلة الرفيعة من شيم أهل الفضل. تجلت هذه الأطروحة من خلال: قوله: **"قد سمعت ما ذكرت"** في ذلك حث على حسن الإصغاء إلى الآخر ، فهو من شروط المحاورة.

عمل إلى عرض بطانة الملوك وهما صنفان:

1- أهل الدون والهوان: هم كالبهائم لا يهتمون إلا بما يملأ بطونهم. فهم الفاسدون.

2- أهل الفضل والمروة: هم يجلبون المنفعة، ويدفعون الضرر. فهم الصالحون الناصحون.

يكشف النص عن نموذجين للتعامل مع الحاكم. يتسم الأول بالمجاملة والمحاباة طلبا للسلامة. ويعمد الثاني إلى النصح والإرشاد طلبا للفائدة والصلاح، وإن عرّض صاحبه للخطر.

القسم الثالث: الاستنتاج. يتجلى ذلك من خلال أقوال هي:

"قد عرفت مقالتك" وهو قول يحيل على الفهم والاستعاب، فالاختلاف الجوهري بين الطرفين في الرأي لم يمنع رقي محاورتهما، وهو ما تجلى في حفظهما على هدوئهما، ما ينبئ بحوار مثمر.

"راجع عقلك" دعوة إلى إعمال العقل، والنظر في عواقب الأمور، وتقليبها على وجوهها المختلفة.

طرح **ابن المقفع** من خلال نصه الأدبي قضية سياسية شائكة، تتمثل في دور بطانة الحكام. أيكون بالتقرّب منهم وإرضاؤهم، وتجنّب ما يثير غضبهم. أم بالنصح والتوجيه؟ سعيا للكشف عما ساد عصره من فساد الحاشية حول الخليفة العباسي **أبي جعفر المنصور**، ما اضطره إلى الإشارة لهذه المسألة بالتلميح أولا عبر الحكاية الرمزية. وبالتصريح ثانيا عندما وجّه **"رسالة الصحابة"** إلى الخليفة المنصور، أورد فيها كثيرا مما رآه نافعا للحاكم في عصره.

الدرس رقم: 07 (النص التطبيقي)

المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني

النص: حَدَّثَنَا عِيسى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ، وأَنَا بِبَغْدَاذَ، وَلَيسَ مَعْي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخَ، فَإِذَا أَنَا بِسَوادِيٍّ يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمارَهُ، وَيَطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ، فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَاللهِ بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى البَيْتِ، فَقَالَ السَّوادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَعَنَ اللهُ الشَّيطَانَ، وَأَبْعَدَ النِّسْيانَ، أَنْسَانِيكَ طُولُ العَهْدِ، وَاتْصَالُ البُعْدِ، فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ ؟ أَشَابٌ كَعَهْدي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللهُ إِلَى جَنَّتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلاَ حَوْلَ ولاَ قُوةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم، وَمَدَدْتُ يَدَ البِدَارِ، إِلي الصِدَارِ، أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ، فَقَبَضَ السَّوادِيُّ عَلى خَصْرِي بِجِمُعْهِ، وَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللهَ لا مَزَّقْتَهُ، فَقُلْتُ: هَلُمَّ إلى البيتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِواءً، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ، فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ القَرَمِ، وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقَمِ، وَطَمِعَ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقاً، وَتَتَسَايَلُ جُوذَابَاتُهُ مَرَقاً، فَقُلْتُ: افْرِزْ لأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذا الشِّواءِ، ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الحَلْواءِ، واخْتَرْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الأَطْباقِ، وانْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرُّقَاقِ، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئَاً مِنْ مَاءِ السُّمَّاقِ، لِيأَكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيَّاً، فَأَنْحَى الشَّواءُ بِسَاطُورِهِ، عَلَى زُبْدَةِ تَنُّورِهِ، فَجَعَلها كَالكَحْلِ سَحْقاً، وَكَالطِّحْنِ دَقّا، ثُمَّ جَلسَ وَجَلَسْتُ، ولا يَئِسَ وَلا يَئِسْتُ، حَتَّى اسْتَوفَيْنَا، وَقُلْتُ لِصَاحِبِ الحَلْوَى: زِنْ لأَبي زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِينج رِطْلَيْنِ فَهْوَ أَجْرَى فِي الحُلُوقِ، وَأَمْضَى فِي العُرُوقِ، وَلْيَكُنْ لَيِّلَي العُمْرِ، يَوْمِيَّ النَّشْرِ، رَقِيقَ القِشْرِ، كَثِيفِ الحَشْو، لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ، يَذُوبُ كَالصَّمْغِ، قَبْلَ المِضْغِ، لِيَأْكُلَهُ أَبُوَ زيْدٍ هَنِيَّاً، قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعدْتُ، وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ، حَتَّ اسْتَوْفَيْنَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشِعُ بِالثَّلْجِ، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَّةَ، وَيَفْثَأَ هذِهِ اللُّقَمَ الحَارَّةَ، اجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نأْتِيكَ بِسَقَّاءٍ، يَأْتِيكَ بِشَرْبةِ ماءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ ولاَ يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإِزَارِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ ثَمَنُ ما أَكَلْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو زَيْدٍ :أَكَلْتُهُ ضَيْفَاً، فَلَكَمَهُ لَكْمَةً، وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ، ثُمَّ قَالَ الشَّوَّاءُ: هَاكَ، وَمَتَى دَعَوْنَاكَ؟ زِنْ يَا أَخَا القِحَةِ عِشْرِينَ، فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِذَاكَ القُرَيْدِ، أَنَا أَبُو عُبَيْدٍ، وَهْوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ، فَأَنْشَدْتُ:

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلهْ *** لاَ تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حَالَهْ

وَانْهَضْ بِكُلِّ عَظِيَمةٍ *** فَالمرْءُ يَعْجِزُ لاَ مَحَالَهْ

شرح المفردات الصعبة:

الأزاد: الطعام. / **النقد:** النقود. / الكرخ : الجانب الغربي من بغداد. / **السوادي:** الرجل المنسوب إلى السواد وهي منطقة خصبة في جنوب العراق. / **يطرف بالعقد إزاره:** يرد طرفي الإزار على الأخر بما يعقد بينهما، كناية عن توافر النقود في صرر ثوبه./ **الدمنة:** الأثر القديم ويقصد به القبر./ **البدار:** المسارعة. **الصدار:** القميص. / **القرم:** الشهوة إلى أكل اللحم خاصة. / **حمة القرم:** اشتداد الشهوة إلى أكل اللحم. اللقم : الأكل السريع. / **الجوذابات:** جمع جوذابة هي نوع من الخبز. / **السماق:** شجر يستخدم بذوره تابلا. /**نبس:** تكلم. / **اللوزنيخ:** نوع من الحلوى يحشى بالجوز واللوز وما شابههما. /**جرد:** شمر عن ساعده / **يشعشع:** يمزج. / **الصارة:** العطش. / **اهتلق الشواء بازاره:** تعلق بثيابه. /**عقده:** عقد كيس نقوده./ **القريد:** تصغير قرد.

تحليل النص:

يدور هذا النص حول فكرة عامة هي: احتيال عيسى بن هشام على السواديّ وطرائق الإيقاع به. ينقسم إلى ثلاثة أفكار جزئية هي:

1- مقابلة عيسى بن هشام بالسوادي (من **بداية النصّ** إلى **بالعقد إزاره**).

2- الطرق التي اعتمدها ابن هشام في التحايل على السوادي. (من **فقلتُ: ظفرنا** إلى **بشربة ما**).

3- نجاح ابن هشام في حيلته وتمكنه من السوادي. (من **ثمّ خرجتُ** إلى **نهاية النصّ**).

عكف الهمذاني من خلال هذا اللون الأدبي الجديد/المقامة على الاهتمام بقضايا مجتمعه، بتناوله للمشاكل التي طغت عليه في ذلك الوقت. يطرح نص المقامة ما شهده المجتمع العباسي في القرن الرابع الهجري من تحوّل في القيم.

تداول على سرد أحداث المقامة راويان: **راوٍ مجهول** كشفت عنه نون الجماعة التي ظهرت في بداية النص (حدثنا). و**راوٍ معلوم**، معلن عنه في كل المقامات: عيسى ابن هشام، الذي عمد إلى سرد أحداث المقامة. بخروجه بحثا عن فرصة لكسب النقود، أو الحصول على الطعام (فخرجتُ أنتهز محالّه، فإذا أنا بسواديّ يسوق).

ضمت المقامة شخصيتان لا تخلوان من رمزية؛ شخصيّة **عيسى بن هشام**، الذي رمز إلى تدهور القيم وتراجعها في المجتمع العباسي في القرن الرابع الهجري؛ الذي شاعت فيه الكدية/التحايل، التي توسّلتها فئة كبيرة من أفراد المجتمع ممن أوتوا مقدرة لغوية، في التحايل على الآخرين وسلبهم أموالهم. تميز بالحنكة والذكاء. **السوداي**ّ: رمز للقيم الأصيلة في المجتمع العربي، التي بدأت تزاحمها قيّم غريبة عنه، بسبب احتكاك العرب بغيرهم من الأمم (طيبة النفس، نقاء القلب، الكرم...). اتسمت بالسذاجة والتلقائيّة: "**لستُ بأبي زيد ولكنّي أبو عبيد**"، الطيبة وحسن الخلق: "**أرجو أن يصيّره الله إلى جنّته**"، "**نشدتُكَ الله لا مزّقته**"

تدور هذه المقامة ببغداد، أين يصوّر الكاتب تناقضات المجتمع في تلك الفترة. يطرح نص المقامة رغبة البطل في الحصول على الطعام، ووسيلة الحصول عليه. وهو ما يعكسه حواره الداخلي: "**فقلتُ: ظفرنا والله بصيد**" ما يدل على النية المبيتة لابن هشام للابتزاز والتحايل من جهة. وعلى قدرته على قراءة البشر ومعرفة معادنهم من جهة أخرى. فقد أدرك بساطة السوادي وطيبته، ما جعله يفكر في حيلة للتقرب منه، فكان أن قال له: "**حيّاك الله أبا زيد**" و " **هلمّ إلى البيت**". مستعملا ذكاءه في تدارك الأمر؛ "**لعن الله الشيطان، وأبعدَ النسيان**". وأيضا في انتقاء الحجج المناسبة لإقناع السوادي، وجعله يرضى بما يطرحه ابن هشام: "**هلمّ إلى البيت... والسوق أقرب، وطعامه أطيب**"

عمد ابن هشام إلى استعمال الحيلة، مستغلا تعب السوادي وجوعه لتنفيذ خطته. فقام بإثارة شهيّته من خلال الإمعان في وصف المأكولات الشهية: "**يتقاطر شواؤه عرقا**"، "**يذوب كالصمغ قبل المضغ**". "**فهو أجرى في الحلوق**"، "**رقيق القشر، كثيف الحشو**"، "**كالكحل سحقا، وكالطحن دقّا**". عكس هذا التنوع في الأطعمة، التي حرص الهمذاني على تعدادها، مظاهر التمدّن التي شهدتها الحضارة العربيّة الإسلاميّة، كما يعكس مظاهر الترف والبذخ في المجتمع العباسي.

بعد نجاح ابن هشام في استدراج فريسته/السوادي، وتحقيق غايته في التحايل عليه، في ظل تصديق هذا الأخير للحيلة التي توسلها المكدي، عرفت أحداث المقامة قمة التأزّم، عندما بادر ابن هشام إلى توريط السوادي: (**خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ ولاَ يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ**)، فقد وجد السوادي نفسه مجبرا على دفع ثمن الطعام (**فَلَمَّا أَبْطَأَتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإِزَارِهِ، وَقَالَ: أَيْنَ ثَمَنُ ما أَكَلْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو زَيْدٍ:**

أَكَلْتُهُ ضَيْفَاً". لتأخذ الأحداث طريقها إلى الحل عندما أجبره الشوّاء على دفع النقود (نهاية الأزمة): **"فلكمه لكمة، فجعل السوادي يبكي، ويحل عقده بأسنانه"**.

اتسم السرد بالخطية في جل مشاهد المقامة، بغية الوصول إلى نهاية القصة، وإتمام أحداثها؛ حيث كان الوصف وسيلة الهمذاني الرئيسة في عرض مشاهدها. لجأ الكاتب إلى تقديم الأحداث في شكل كريكاتوري ساخر، غايته فضح الممارسات السلبية، التي غدت تميّز سلوك الأشخاص في مجتمعه، يتضح ذلك من خلال: صورة تعلّق الشوّاء بإزار السوادي، صورة الشوّاء يلكم السوادي، صورة السوادي وهو يبكي ويحل عقده بأسنانه.

زخرت المقامة بجملة من الأنساق المضمرة، التي سعى الهمذاني للكشف عنها، وبيان أبعادها المختلفة، وذلك من خلال:

- اعتماده السخرية والتهكم وسيلة لنقد الأوضاع الاجتماعية في القرن الرابع الهجري.
- تدهور القيم الخلقية، وانقلاب المفاهيم في مجتمع الهمذاني.
- التحوّل الحضاري الذي شهده هذا المجتمع، من بذخ وترف، عكسته هذه الألوان المتعددة من الأطعمة التي أمعن الكاتب في وصفها.
- الوعي بالأزمات التي صارت تخيم على هذا المجتمع، والتي وقفت وراء إرادة هذا المثقف/ الهمذاني في فضح تلك الممارسات السلبية التي أخذت تتسرب إلى المجتمع العباسي بعد الانفتاح على ثقافات الآخر.
- الجانب الأدبي والفني الذي تميز به نص المقامة، وما تضمنته من لغة وبيان ووسائل تعبيرية وطرق فنية.

الدرس رقم: 07 (النص التطبيقي)

الرسائل الديوانية

الرسائل الديوانية من المكاتبات الرسمية التي تجري بين الخليفة وأحد ولاته أو أحد عماله. تتعلق بتولية، أو عزل، أو تقريع... يتقيد فيها الكاتب بطريقة رسمية في الكتابة.

فهي تلك الصادرة عن ديوان الدولة والمكتوبة في تدبير شؤونا، وعن أهميتها قيل: "تكتسب الرسائل الديوانية أهميتها وخطورتها بوصفها لسان حال الدولة وعليها يعتمد ترتيبها وتسيير أمورها، وتحديد علاقاتها مع الدول الأخرى وعليها تعتمد هيبتها وتستند إليها أركانها.

النص:

كتب أمير المسلمين **علي بن يوسف** من مراكش في السنة 510هـ، كتابا إلى أحد الولاة يحضه فيه على إقامة الحق، ومن بعض فصول هذه الرسالة: "وقد رأينا والله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق، أن نجدد عهدنا إلى عمالنا بالتزام أحكام الحق وإيثار أسباب الرفق لما نرجوه في ذلك من الصلاح الشامل والخير العاجل واالله تعالى ييسرنا لما يرضيه في قول وعمل بقوته، وأنت أعزك االله من يستغني بإشارة التذكرة، ويكتفي بلمحتها التبصرة، لما تأوي إليه من السياسة والتجربة، فاتخذ الحق أمامك ومَلِكْ يده زمامك، وأجرِ عليه في القوي والضعيف أحكامك، وارفع لدعوة المظلوم حجابك، ولا تسدّ في وجه المضطر المظلوم بابك، ووطئ للرعية–حاطها االله– أكتافك، وابذل لها إنصافك واستعمل عليها من يرفق بها ويعدل فيها واطرح كل من يحيف عليه ويؤذيها، ومن تثبت عليه من عمالك زيادة أو فرق في أمرها عادة أو غيّر رسما، أو بدَّل حكما أو أخذ لنفسه درها ظلما، فأعزله عن عمله وعاقبه في بدنه، وألزمه رد ما أخذ تعدّيا إلى أهله، واجعله نكال لغيره، حتى لا يقدم أحد منهم على مثل فعله إن شاء االله تعالى، وهو ولي تسديدك، والملي بعضدك وتأييدك لا إله إلا هو عليه توكلت".

- **التعريف بالكاتب:**

أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي (476هـ/1083م -537 هـ/1143م) خامس حكام دولة المرابطين في المغرب والأندلس الذي بلغت في عهده الدولة المرابطية أوجّ قوتها وضخامتها، وحكمها بين سنتي 500 هـ-537 هـ. استلم علي بن يوسف دولة المرابطين سنة 500 هـ خلفًا لأبيه يوسف بن تاشفين، وقد دانت لها الأندلس والمغرب وأجزاء واسعة من غرب أفريقيا أمضى علي سنوات حكمه الأولى في مجابهة ممالك

قشتالة وأراغون والبرتغال وقطلونية المسيحية وبقايا ممالك الطوائف في شمال شبه الجزيرة الأيبيرية، وتحقق له في البداية بعد الانتصارات الهامة في أقليش وإفراغة واستطاع ضم سرقسطة آخر ممالك الطوائف الأولى في الأندلس سنة 503 هـ/1110م، قبل أن تشتدّ شوكة مملكة أراغون في عهد مليكها ألفونسو المحارب وينتزع سرقسطة ومناطق واسعة من الثغر الأعلى من المرابطين. وفي المغرب، واجه علي بن يوسف حدثًا جلل أرق ملكه منذ سنة 515 هـ وحتى وفاته سنة 537 هـ. بظهور محمد بن تومرت وتأسيسه لحركة الموحدين التي ضعضعت ملك المرابطين وانتزعت منهم مناطق واسعة من المغرب، وتوفي علي بن يوسف والحرب بين المرابطين والموحدين في المغرب على أشدها .

- **تحليل الرسالة:**

يدور مضمون هذه الرسالة حول دعوة أمير المسلمين **علي بن يوسف بن تاشفين** لأحد ولاته للالتزام بالحق، ومراعاة الخالق في أداء المهام الموكلة إليه.

جاءت لغة الرسالة بسيطة ومباشرة، استطاعت أن تلائم موضوع التوجيه، وبيان طرق تسيير أمور الولاية، والتعامل مع الرعية.

- **المضمون:**

انتقل الكاتب بعد مقدمة مهّد بها لحديثه، ضمّنها الدافع لكتابة هذه الرسالة، إلى موضوعها الذي يخص شؤون الدولة وطرق ممارسة المهام (رسالة ديوانية). جاءت لغتها رسمية بعيدة عن أي عواطف إلا ما تعلق بالدعاء بالتوفيق والسداد.

لما كانت الرسالة رسمية وصادرة عن ديوان الدولة فقد ختمها الكاتب بعبارة عامة وهي الدعوة بالسداد (**إن شاء الله تعالى، وهو ولي تسديدك، والملي بعضدك وتأييدك لا إله إلا هو عليه توكلت**).كثيرا ما كان كتاب الرسائل يثبتون عبارات كهذه في نهاية رسائلهم، تأدبا مع الله ورغبة في نجاح مقصدهم وتبركا بالله وذكره.

الغاية المبتغاة من هذه الرسالة هي إصلاح شؤون الرعية، من خلال حثّ الولاة على الحكم بالعدل ومراعاة الحق في ممارسة المهام.

- **الأسلوب والبناء:**

- استهل الكاتب رسالته بالدعاء، قبل الولوج لمضمونها: "**وقد رأينا والله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق**" التي موضوعها توجيه الولاة إلى طرق العمل، والتعامل مع الرعية. لما فيه خير المسلمين. "**أن نجدد عهدنا**

إلى عمالنا بالتزام أحكام الحق وإيثار أسباب الرفق لما نرجوه في ذلك من الصلاح الشامل والخير العاجل والله تعالى ييسرنا لما يرضيه في قول وعمل بقوته".

– أكد صاحب الرسالة على ثقته في واليه، وحسن تدبيره للأمور، لكن في المسألة تذكير وتنبيه من أي غفلة قد تصيبه، أو شاغل قد يجعله يقصّر في أداء مهامه. **"وأنت أعزك الله من يستغني بإشارة التذكرة، ويكتفي بلمحتها التبصرة، لما تأوي إليه من السياسة والتجربة".**

تعددت الأوامر والتوصيات التي وجهها أمير المسلمين **علي بن يوسف بن تاشفين** إلى واليه، إذ يمكن إجمالها في:

- اتخاذ الحق، وتنفيذ الحكم على القوي والضعيف على حد السواء.
- عدم جعل حاجز بينك وبين نصرة المظلوم، بترك باب الشكوى إليك مفتوحة في وجه المظلوم.
- تسخير نفسك خدمة للرعية، وقضاء حوائجهم.
- حسن اختيار من يتولى شؤونهم؛ بحيث يكون رفيقا بهم عادلا بينهم. واستبعاد من يستغلهم أو يحاول إيذائهم.
- محاسبة عمال الدولة ومعاقبة وعزل من ثبت عليهم استغلال النفوذ، والكسب من وراء المنصب. واختلاس درهم من أموال الدولة والرعية.
- إجبار المختلس على ردّ ما أخذه ظلما وعدوانا. بجعله عبرة لغيره؛ حتى لا تسول له نفسه الإقدام على أمر مماثل.

الملاحظ أن لغة الرسالة كانت بسيطة ومباشر، ابتعد فيها صاحبها عن استعمال الصور البيانية، أو أي زخرف لفظي؛ لأن المقام لا يستدعي ذلك.

الرسائل الإخوانية

الرسائل الإخوانية هي التي تدور بين الأفراد في أغراض: التهنئة، أو التعزية، أو العتاب، أو الشوق، أو التحذير، أو الوعيد...، يتم من خلالها التعبير عن المشاعر، والعلاقات الخاصة. لذلك كانت مجالا للدراسة الأدبية؛ إذ أصبح يوظف فيها صورا أدبية مختلفة، إضافة إلى الاقتباس والتضمين الشعري والنثري على السواء.

غدت الرسائل الإخوانية فنا قائما بذاته له خصائصه المميزة في العصر العباسي، بفضل الاستقرار السياسي، ومقتضيات تطور الحياة فيه.

النص:

- **رسالة سهل بن هارون إلى صديقه محمد بن زياد الزيادي البصري معاتبا يقول فيها:**

"أما بعد، فالسلام على عهدك، وداعٍ ذي ودٍ ضنينٍ بك، في غير مقليةٍ لك، ولا سلوة عنك، بل استسلام للبلوى في أمرك. وإقرار بالعجز عن استعطافك إلى أوان فيئتك. أو يجعل الله لنا دولة من رمقك.

وكتب أسفل الكتاب:

إن كنتَ قد أخطأتَ أو أسأتَ ففي	عفوك مأوًى للفضل والمننِ
أبينَ ما أستحقُ من خطأٍ	فجِدْ بما تسْتحقُ منْ منّ

- **شرح المفردات الصعبة:**

مقلية: كارهة، مبغضة./ **فيئتك:** رجوعك.

- **التعريف بالكاتب:**

سهل بن هارون مترجم وفيلسوف وأديب. توفي 830م. ولد قرب البصرة في أسرة فارسية الأصل ونشأ فيها وفي بغداد، ثم خدم يحيى البرمكي، وخلفه على ديوان بغداد بعد قتله. ولي مكتبة المأمون، ثم بيت الحكمة البغدادية. كان سهل بن هارون مترسّلا بليغا وخطيبا فصيحا ومصنّفا للكتب، تروج كتبه عند الناس لحسن أسلوبها

وطلاوتها، وقد حاول تقليد ابن المقفع في كتابه كليلة ودمنة فألف قصصاً كثيرة على منوالها مثل ثعلة وعمراء والنمر والثعلب. كما أن أسلوبه يماثل أسلوب ابن المقفع في دقته ووضوحه وسهولته وخلوه من المحسنات اللفظية. ولابن هارون أيضا (تدبير الملك والرئاسة) و(الاخوات) و(المسائل) و(رسالة البخل) التي اتهم بسببها بالشعوبية لازدرائه الكرم العربي.

- **تحليل الرسالة:**

العتاب من الموضوعات المطروقة بين الأصدقاء، وأحد المظاهر الاجتماعية. أراد سهل بن هارون في هذه الرسالة الإخوانية معاتبة صديقه محمد بن زياد، في محاولة للحفاظ على حبل الود بينهما، رغم إقدام محمد بن زياد على هجائه، مسرفا في ذلك. والدليل على هذه النية الطيبة ما حفل به النص من عبارات المسامحة والاستعطاف.

عمل سهل بن هارون على دفع صديقه إلى الشعور بخطئه، من خلال تذكيره بالود الذي يجمع بينهما. فهو غير غاضب من هجائه له، لذا سعى إلى إرضائه بأي شكل، محاولا استعطافه. وهو ما عبر عنه بيتا الشعر اللذان ضمنهما رسالته. أظهرت هذه الرسالة أخلاق سهل بن هارون، وصفة التسامح التي يتحلى بها.

- **أسلوب الرسلة:** يلاحظ على رسالة سهل بن هارون لصديقه:

- قصر حجم الرسالة، فقد آثر الكاتب الولوج إلى موضوعه مباشرة، دون مقدمات، فهي رسالة إخوانية.
- تركه لكثير من العناصر التي التزمت بها الرسالة الإخوانية في هذا العصر. فخلت رسالته من البسملة والصلاة على النبي الكريم.
- استعماله لضمير المخاطب للتعبير عطفه الشديد ورغبته في إبقاء أواصر الصداقة بينهما.
- عدم استهلال الرسالة بالبسملة، لتأتي التحية بعد ذلك (**أما بعد، فالسلام على عهدك**) كوسيلة للولوج إلى موضوع الرسالة. فالسلام هنا موجه للعهد المقطوع بينهما، وللصداقة التي تربط بينهما.
- استعماله لوسيلة التخلص والانتقال المعتادة في الرسائل (**أما بعد**)، والتي تمرد على توظيفها كثير من الكتاب، معتبرين إياها من التقاليد القديمة.
- تركيز الكاتب في هذه الرسالة الإخوانية على القيم الإنسانية، ما دفعه إلى محاولة استرضاء صديقه رغم ما بدر منه.

- **اللغة:** جاءت لغة الرسالة معبرة عن المعاني التي قصدها الكاتب. في ألفاظها لين يناسب غرض الاستعطاف الذي لأجله خطت هذه الرسالة "**السلام على عهدك، وداعٍ ذي ودٍ ضنينٍ بك، في غير مقليةٍ لك، ولا سلوة عنك، بل استسلام للبلوى في أمرك. وإقرار بالعجز عن استعطافك إلى أوان فيئتك**". فتمسكه بصديقه غير محدود بزمن. وظف الكاتب بعض الصور البيانية دعما للمعنى، وتوكيده.

غالبا ما تكون الرسالة الإخوانية ذات لغتها بسيطة، ولا يحتاج صاحبها إلى وضع خاتمة لها في جميع الأحوال.